

تاريخ التيارات الدينية في الجزائر وتوجهاتها المعاصرة السلفية والإخوان نموذجاً

حي محمد - عويسي كمال - المركز الجامعي غرداية

مقدمة

تعتبر الظاهرة الإسلامية في الجزائر قديمة إن لم نقل أنها وآبَت حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي، فتاريخ هذه التيارات لها جذور مرتبطة بهدف الكثير من العلماء والمصلحين في الوصول إلى النموذج الحضاري الإسلامي في مواجهة التغريب الذي كان يتعرض له الشعب الجزائري علماً أن الحالة الجزائرية، هي حالة خاصة مقارنة بالمجتمعات العربية والإسلامية لأن أول صدام قد حصل بين أوروبا والعالم العربي والإسلامي كان في الجزائر، والذي حاول من خلاله هذا المستعمر بكل ما يحمل من تكنولوجيا أن يقضي على الهوية الإسلامية واللغة العربية مما خلق تياراً من المقاومة من أجل الحفاظ على هذه الهوية وبالتالي احتضان كل الدعوات والحركات الإصلاحية التي تدعو لمقاومة المستعمر، فنحن أمام ظاهرة تتساءل فيها عن كيفية ظهورها وكيفية تطورها والأسس التاريخية لهذه التيارات الدينية في الجزائر.

1- السلفية:

1-1 جمعية العلماء المسلمين والتوجه السلفي:

بوادر ظهور التيار السلفي المحافظ في الجزائر يعود إلى العهد الاستعماري مع جمعية العلماء المسلمين فكان علمها ابن باديس والطيب العقبي والإبراهيمي وغيرهم يشتركون مع الوهابيين في عدم الخوض في الأمور السياسية والتركيز على محاربة البدع والخرافات والطرق الصوفية، خصوصاً بعد دراسة العديد من المؤسسين لها في الحجاز على غرار عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي الذين تأثروا بالفكر الوهابي عند علماء الحجاز، يقول عبد الرحمن لمشيقي "هذه الحركة تستند لتوجيه حركتها من تساؤل معنوي، ثقافي، وهوياتي ومن أصول الدين من الموروث المذهبي للسلفية المولود في القرن 17 في إطار المبادئ التي أظهرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا الذين يبحثون بالرجوع إلى الماضي والجذور في النصوص المقدسة... للتحليل من الانتقادات الموجهة لهذه النصوص في تلك المرحلة من أجل نهضة العالم الإسلامي".

لكن هذا لم يمنع أعضاء الجمعية التواصل مع الحركة الإصلاحية في الشرق الأوسط وفي مصر تحديداً، فإسلامها كان سلفياً على طريقة رشيد رضا وظهر ذلك جلياً من خلال التواصل وحرص العلماء على دخول جريدة "المنار"، التي كان يصدرها إلى الجزائر بشكل دائم وتتلخص مبررات قيامها وأهداف عملها في الدعوة إلى نشر "الإسلام الصحيح" وتطهيره من الانحرافات التي أصابته عملياً، حيث خاضت حركة العلماء المسلمين الجزائرية معركتها على رصد الإسلام المنحرف في نظرها، إسلام الزوايا والإسلام السائد في الأوساط الشعبية آنذاك.

من ناحية أخرى، ازدهرت في الأوساط الشعبية الحضرية، والريفية عبادة الأولياء والمرابطين وغيرها من ألوان الشعوذة والسحر والإيمان بالأساطير والخرافات وكانت كلها ألواناً من "الشرك" بنظر العلماء الذين جعلوها هدفاً لعملهم الإصلاحية.

وانضم الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى القافلة كأول مصلح سلفي يرأسه دعائم المدرسة الإصلاحية السلفية في الجزائر "هذه الدعوة الواضحة الصريحة إلى تصحيح الدين يبدو فيها بجلاء تأثير الدعوة السلفية، وقد كان على عبد الحميد بن باديس أن يواجه ضلالات الطرق الصوفية التي عششت في بوادي الجزائر ورأفها فضلاً عن مدنها، فشن حرباً على بدعهم"،

وهو الذي تكفل بشر معالمها وإيضاح مقاصدها للجزائريين طيلة سبع وعشرين عاما بمعية الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي وبقية أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين عادوا إلى الجزائر بعد إنهاء دراساتهم في المشرق العربي، في هذا الصدد يقول أرسيت غيلز " أصبحت حركة الإصلاح الجزائري، في غضون عشر سنوات فقط، حزبا دينيا حقيقيا... حزب نظم آلة دعائية فعالة وانتهى إلى فرض نفسه على اهتمام القطر برمته (بما فيه الإدارة)، كحركة تتميز بدينامية منتصرة...."، وقد ظهر ذلك من خلال مواقف بعض الأعضاء مثل الشيخ الطيب العقبي الذي يعلن جهرا مقتنه للممارسات الدينية الطرفية وظهر اتفاقه مع ابن باديس في ذلك:

" لقد كان ابن باديس والعقبي على اتفاق تام فيما يتعلق بالخطوط العريضة الأساسية لمفهوم الإصلاح السلفي: أي الكفاح ضد البدع وبخاصة بدع الصوفية ... وكان الشيخ العقبي الأقل حذرا من بين قادة الإصلاحيين الجزائريين ولم يكن يجد أي وسيلة لقبول وضع الممثلين الرسميين للعبادة الإسلامية في العاصمة الجزائر.... ولقد كان العقبي يتكلم عن الأولياء والمتصوفة بشكل حاد وغير مبال، فهو مكافح متأكد من أنه على حق والنصر سيكون حليفه".

فلا شك أنه كان لهذه الحركة بُعد جديد للسلفية وهو المحافظة على أصالة الأمة الإسلامية لأن المؤامرة كانت في الجزائر موجّهة نحو الاتيء الإسلامي للجزائر ولغتها العربية، فتصدت هذه الحركة السلفية وحافظت على هذه الهوية حتى لا تتبع أو تهتز تحت ضربات الغزو الأجنبي.

1-2 السلفية بعد الاستقلال:

يعود بروز أولى طلائع السلفيين الجزائريين إلى الحركة الفكرية والثقافية التي كانت تشهدها البلاد خلال السبعينيات خصوصا مع بروز العديد من الفصائل الإسلامية مثل السلفية والجزرة والتبليغ، وحركة الإخوان المسلمين ذات الامتداد القوي والتي حافظت على نشاطها رغم التضيق، ومطاردة السلطات لناشطيتها. أما عن التيار السلفي والدعوة الوهابية فبدأت تظهر مؤشراتهما في الجزائر عام 1976م عندما قام الشيخ العشراوي، خلال زيارته المتعددة والقاؤه لدروس وحلقات دينية حول التربية الإسلامية والاهتمام بالجانب التكويني للشباب، واستطاع أن يلعب دورا كبيرا في التأثير على مجموعة كبيرة من الشباب الجزائري وتكون على يديه مجموعة من الأسماء التي برزت في مجال الدعوة ومن بين هذه الأسماء المعروفة والمحسوبة على التيار السلفي نذكر على سبيل المثال عبد المالك رمضان وعلي بلحاج الذي انشق فيما بعد عن ماسمي بالسلفية العلمية ومنهم من انتقل إلى السعودية لتلقي العلم الشرعي.

وبعد أن أخذ هؤلاء الشباب أصول وقواعد السلفية الوهابية كانت إستراتيجية العمل المسجدي لدى كل التيارات الإسلامية هي الوسيلة الناجعة لنشر المنهج السلفي، حيث يذكر عبد المالك رمضان "أن فترة الثمانينات تعتبر " المرحلة الذهبية للدعوة " وكادت الدعوة السلفية تنمو من الديار الجزائرية مبوء صدق وأخفيت مظاهر الشرك في كثير من المدن ... وطُمس على كثير من البدع ... وعظمت ثقة الناس بدعائهم الذي كان الواحد منهم ينتقل من قرية إلى قرية... ينتقل بين الشككات العسكرية يُعلم الهدى حتى انتشر الوعي في أوساطها والسر في ذلك هو أن هذه المرحلة كانت أكثر الأزمات نضرا للعلم الشرعي منذ الاستقلال".

وقد بدأت تظهر مظاهر جديدة كإعفاء اللحى وارتداء الأقمصة القصيرة للرجال وارتداء الجلباب والنقاب للنساء، هذه المظاهر جعلتهم متفرد المظهر حتى في الصلاة (القبض وجلسة الاستراحة) ورغم أن المذهب السائد في الجزائر هو المذهب المالكي إلا أننا نلاحظ أن هذا التيار قد انتشر في معظم مناطق الوطن، ومن أهم المبادئ التي تؤمن بها السلفية العلمية (السلفية الوهابية).

- عدم تأسيس الدين ورفض الأحزاب السياسية، لأن ذلك مدعاة للفتنة والانقسام.

- التركيز على تربية النشء على مبادئ الشريعة الإسلامية (أسلمة المجتمع من القاعدة).

- عدم الانشغال بالمواضيع الفكرية والفلسفية التي لها علاقة بالعقيدة الإسلامية لأنها تدعو للتأويل الخاطئ للدين والتركيز على دراسة العلوم الشرعية للتوجه الوهابي دون التوجهات الأخرى ويذكر عبد المالك رمضان أن السلفية في الجزائر هي امتداد للدعوة الوهابية، ونها ثمره عناية دعائها الكبار مثل الألباني وابن باز وابن عثيمين

واصلت السلفية انتشارها كحركة إصلاحية خصوصا على المستوى الشعبي إلى أن جاء اليوم الذي أعلن فيه علي بلحاج، وهو أحد المحسوبين عليها خوض تجربة العمل السياسي بعد إقرار التعددية السياسية في 1989 بناء على دستور فيفري من نفس السنة برفقة مجموعة من العاملين في الحقل الإسلامي، فما كان على بعض رفقاء دربه وحتى بعض تلاميذه إلا مخالفة رأيه في تأسيس حزب سياسي ودخول الانتخابات من أجل تحكيم الشريعة الإسلامية، رافعين حينها الشعار المشهور: "من السياسة ترك السياسة".

وفي ظل "القوة" التي ظهرت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الميدان السياسي آنذاك فضل التيار السلفي مواصلة تحذير الناس من الانخراط في صفوف هذا الحزب أو مؤازرته بأي شكل من الأشكال، كما خصص مشايخه وعلى رأسهم عبد المالك رمضان العديد من خطبهم ودروسهم للهجوم على قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وباقي الأحزاب الإسلامية التي تأسست في تلك الفترة، ولم يتوانوا في وصفهم بـ "المبتدعة" الذين يحاربون السنة، وينشرون الجهل والضلالة بين المسلمين، الذين يبقى من واجبهم شرعا - حسبا ورد في خطب ودروس هؤلاء المشايخ السلفيين - هجر هؤلاء حتى يتوبوا من "بدعة" الحزبية، بالرغم من أن الجميع وقتها لم يكن لهم حديث سوى عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ، واستعداداتها لتولي شؤون الحكم في البلاد.

1-3 أحداث أكتوبر 1988 وانقسام التوجه السلفي في الجزائر:

أسلمة المجتمع من جديد عبر القاعدة أو ما يمكن أن نسميه استقطاب وزيادة عدد الأتباع وليس عبر الدولة، إذ المجتمع يقوم أولا وقبل كل شيء على أفرادها وهذا الهدف الذي كانت تسعى إليه "الإسلاموية"، ولكن هذه المرة بتركيزها على العمل السياسي في الجزائر ومحاولة ممارسة الضغط على النظام الحاكم في الجزائر عبر التعبئة الشعبية وتوجيه الأحداث وبالتالي حساب هذه الحركة كطرف في معادلة المجتمع والدولة في الجزائر ولأنه لم يتسنى لها إقامة دولة إسلامية في أي مكان، فقد بدأت في العودة إلى القاعدة الشعبية في محاولة لبعث فكر هذه الجماعات، وهذا يترافق مع تقدم الإسلام كظاهرة اجتماعية خاصة في فترة الثمانينات مع انتشار الظاهرة الإسلامية في كل مكان من الجزائر، حيث أصبحت مظاهر التدين وسلوك المتدينين ليس فقط في المسجد بل تعدته إلى الحياة الاجتماعية خصوصا مع تزايد العديد من الجمعيات الخيرية والإسلامية ملتحقين في حملتهم من أجل الشريعة برجال الدين السلفيين التقليديين.

في هذه الفترة - الثمانينات - التي بدأت السلفية المحافظة في الانتشار والتوغل في الأحياء والقرى والمدن، نظرا لتنقل الدعاة السلفيين من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى وقعت أحداث أكتوبر 1988، "جاءت هذه الأحداث نتيجة لندرة المواد الأولية وزيادة الأسعار وانتشار البطالة إضافة إلى الجو السائد والمشحون منذ عدة أشهر، مما خلق موجة من الاضطرابات على مستوى المدن الكبرى بداية من العاصمة لتنتشر إلى باقي المدن الأخرى".

هذه الأحداث جاءت كرد فعل لفشل المشروع السياسي والاقتصادي في الاعتماد على نمط استهلاكي وعشوائي وسوء التسيير العقلاني، صاحبه تدمير من الوضع الاقتصادي السائد، هذا الانفجار الشبه الحتمي الذي عبرت فيه القاعدة الشعبية وخصوصا الشباب الذين يمثلون الشريحة الكبرى عن استيائهم من الوضع القائم، هذه الأحداث كانت فرصة لمعظم المعارضين السياسيين ومن بينهم الإسلاميين الذين تبناوا وأنبوا الأحداث.

ولم يبقى إلا القلة من أنصار السلفية المحافظين الذين اختاروا العودة إلى المرجعية الوهابية وعلماؤها في السعودية، لاستشارتهم فيها اندفع إليه علي بلحاج حين تحالف مع التيارات الأخرى (الإخوان والجزرة) وهذا مكان يتعارض مع توجه السلفية التقليدية المحافظة (الوهابية) التي تعتبر إنشاء الأحزاب السياسية "بدعة" في الذين تؤدي إلى تفريق وحدة المسلمين وإحداث الفتنة في البلاد ولسان حالهم يقول من "السياسة ترك السياسة" وكذا تحريم الخروج على الحاكم مهما صدر منه مالم يمنع الصلاة والزكاة.. لأنه في تصورهم "سلطان غشوم خير من فتنة تدوم".

الملاحظ أنه مع تسارع الأحداث انقسمت السلفية في الجزائر إلى طرفين الأول السلفية التقليدية المحافظة التي بقيت تحافظ على المرجعية الوهابية ولم تدخل عالم السياسة وانخسرت ونقص نشاطها بعد أن ذهب معظم أتباعها إلى امتحان العمل السياسي وذلك بعد تأسيس حزب الجبهة الإسلامية للإيقاد.

والطرف الثاني هو الذي كان محسوباً على السلفية الوهابية مثل علي بلحاج وأنصاره الذين امتنوا العمل السياسي وهو ما يتعارض مع السياسة الشرعية للسلفية المحافظة (الوهابية) التي تنبذ العمل السياسي وتعتبره بدعة في الدين، وكذا تحريم الخروج على الحاكم ما لم يعطل الصلاة والزكاة... أي عقيدة عدم الخروج على الحاكم ما لم يأتي بكفر صريح لأنه في رأيهم سلطان غشوم خير من فتنة تدوم، حيث اعتبر رمضاني "علي بلحاج" غير سلفي فهو لم يتلمذ على شيوخ السلفية، ولكنه اكتسب العلم عن طريق الكتب "لم يتعلم هذا الشاب على أيدي أهل العلم فتكوينه العلمي حصيلة دراسته على الكتب".

تجدر الإشارة إلى أن الخلاف حول قيادة السلفية في الجزائر، يعود إلى سنوات تأسيس الجبهة الإسلامية للإيقاد، حيث احتدم الصراع في تلك الفترة بين أحمد مراني والهاشمي سحنوني بن عزوز زبدة وعلي بلحاج ممن كانوا يؤكدون على أن جبهة الإيقاد "سلفية المنهج وقرئية المنبع" غير إن التحول حدث بعد أزمة وحرب الخليج حيث ساندت خلالها قيادة الـ FIS العراق، الأمر الذي اعتبره شيوخ السلفية في السعودية بمثابة انحراف عن الدين، باعتبار ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية كان من أجل صد الاعتداء.

وكانت الجبهة الإسلامية للإيقاد الحركة الأولى التي قدمت اقتراح برنامج سياسي علني بعد فيفري 1989 تضمنت القيادة علي بلحاج، وعباسي مدني، وآخرين، وفي مارس أعلنت ولادة الجبهة، فتصدت الجبهة الانتخابات البلدية في 856 بلدية، ثم بدأت المجابهة مع الدولة بعدما دعت الجبهة إلى إضراب تحول إلى نزاع دام مع أجهزة الأمن، حيث اعتقل قادة الجبهة الإسلامية للإيقاد في جوان 1991. ورغم اعتقال قادة الجبهة، إلا أنها حصلت على انتصار في الدورة الأولى من الانتخابات البرلمانية وحصلت على 188 مقعداً من أصل 228 في المرحلة الأولى بينما لم يحصل الحزب الحاكم إلا على 16 مقعداً فقط بعدما تولي قيادتها عبدالقادر حشاني الذي حصل على دعم مدني وبالْحاج اللذين كانا في السجن، نتائج الانتخابات هذه حملت الرئيس الشاذلي بن جديد للاستقالة، وبُطلت نتائج الانتخابات وحلت الجبهة الإسلامية للإيقاد، منذ ذلك الحين دخل النظام في دوامة النزاعات العنيفة مع الجماعات الإسلامية المسلحة.

في المقابل تمكن السلفيون مع بداية التعددية الحزبية في الجزائر - مستغلين سياسة الانفتاح التي مارستها السلطة في تلك الحقبة - من حشد المزيد من الأتباع حولهم بترويجهم للفتاوى التي تصدر في الخارج عن علماء أمثال ابن عثيمين وابن باز والألباني وغيرهم من علماء السعودية، أو عن طلبة العلم من تلامذة هؤلاء العلماء، وبذلك استطاعت "السلفية العلمية" لأول مرة أن تسمع صوتها بقوة؛ بالرغم من أن الجميع وقتها لم يكن لهم حديث سوى عن الجبهة الإسلامية للإيقاد واستعداداتها لتولي شؤون الحكم في البلاد.

وفي ظل تسارع الأحداث، وإقدام السلطات على حل الجبهة الإسلامية للإيقاد، ودخول البلاد في فتنة عمياء أتت على الأخضر واليابس، وجد عبد المالك رمضاني وباقي مشايخ السلفية الذين يتبنون منهج "التربية والتصفية" ضالّتهم بمواصلة بذل المزيد من الجهود لبسط نفوذهم على الساحة الدعوية، مستخدمين - كالعادة - ورقة الجبهة الإسلامية للإيقاد، لكن هذه المرة للتأييد على سلامة منهجهم وخطأ من ساروا في فلك الحزب المحظور. ومن ذاع صيته من شيوخ السلفية في تلك الفترة المدعو عبد المالك رمضاني الذي تولى إمامة الناس بمسجد البدر الكائن بأعلي العاصمة الجزائرية، واستطاع في زمن وجيز أن يحشد حوله عدداً معتبراً من شباب "الصحة الإسلامية"، والذين أصبحوا يحجون جماعات وفرادى لسامع دروس وخطب هذا الإمام الشاب الذي يقال إنه نهل في بداية مسيرته العلمية على يد علي بلحاج القيادي السابق في جبهة الإيقاد المحظورة، والذي تحول مع مرور الوقت إلى ألد خصومه.

4-1 السلفية العلمية في الجزائر:

هي تيار يرى في الشيوخ ناصر الدين الألباني ومُحمَّد صالح العثيمين وابن باز وغيرهم علماء يجب الاقتداء بهم والانصياع لأوامرهم ونواهيهم ويعتبر عبد المالك رمضاني من أبرز قادة هذا التيار في الجزائر الذي يدعو إلى إتباع منهج السلف الصالح علاوة على هذا يعمل

على تطبيق المنهج السلفي القائم على مبدأ "التربية والتصفية" وأنه من "السياسة ترك السياسة"، وهنا يقول أن مبدأ التربية والتصفية المقصود به "أنها تصفي الإسلام من كل دخيل، وتربية الناس على هذا الإسلام الأصيل أي تصفية التوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والفقه من الآراء الحادثة المرجوحة والأخلاق من سلوك الأمم المقبوحة، والأحاديث النبوية الصحيحة من الأحاديث المكتوبة المفسوحة.....".

والحديث عن الاتجاه السلفي في الجزائر بمعناه المعاصر يختلف كلية عن توجهات المدرسة السلفية الإصلاحية بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس حتى ولو اشتروا في المسميات ولكنهم يختلفون جذريا في منهج التغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي، لذلك يذهب معظم المتابعين للشوئ وتطور ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة إلى أن "الاتجاه السلفي" في الجزائر يشكله الحالي، اتجاه وافد بدأ يظهر في مطلع الثمانينات وقد انتشر عن طريق الشباب الذي اتخذ من الحجاز قبلة لطلب العلم الشرعي وخصوصا هؤلاء الذين درسوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي كانت معقلا "للتيار السلفي"، وقد تزامن هذا أيضا مع تطور اتجاه جديد داخل الحركات الإسلامية في المشرق يطرح نفسه بديلا "أكثر إسلامية"، وذلك على يد نخبة من القيادات الفكرية وعلى رأسها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ومشائخ هيئة كبار العلماء السعوديين.

وقد لعبت كتيبات الجيب التي توزع مجانا ولا تباع دورا حاسما في إفراز ظاهرة السلفيين الجدد الذي يستمدون قراءاتهم بالأساس من رصيد هذه الكتيبات، وساهمت رحلات "طلاب العلم" الجدد إلى مراكز الدعوة السلفية، وخاصة الوافدين إلى السعودية، في تكوين النخب القيادية التي تأثرت بمختلف مناحي الحياة هناك، فعادوا محملين متحمسين لتطبيق "الفكر السلفي" منهاج حياة.. ومع نهاية عقد الثمانينات وبداية التعددية السياسية برزت الجبهة الإسلامية للإنقاذ كحزب سياسي يضم لأول مرة سياسيين يعتبرون أنفسهم نتاج المدرسة "السلفية المعاصرة" أمثال كمال قمازي وعلي بن حاج والهاشمي سحنوني وعبد القادر مغني، وهذا الأمر أدى إلى إخراج التيار السلفي من قوقعته وإعطائه دفعا كبيرا وذلك بتحويله إلى العمل السياسي مما ضيق الفروق بينه وبين التيارات الأخرى.

بيد أن الأزمة السياسية التي عصفت بالبلاد مطلع التسعينات أفرزت نوعا جديدا من "التيار السلفي غير الحركي" والذي يصطلح عليه في الجزائر بمصطلح "السلفية العلمية" التي انتعشت في ظروف الأزمة السياسية رغم أنهم في البداية لم يجدوا الجو المناسب لنشر أفكارهم إلا أنهم ومع تنوع أشكال التضيق على الإسلاميين الحريين بما فيهم السلفيين الحريين وإهمال كثير منهم مواقفهم الدعوية وتركيزهم على الهم السياسي برز الاتجاه السلفي العلمي محاولا تشكيل بديل للتيار الإسلامي الحركي.

ويعتبر عبد المالك رمضان بالإضافة إلى علي فرنوس أقطاب السلفية العلمية في السنوات الأخيرة التي من بين أهدافها الرئيسية الاهتمام بالعلم الشرعي الذي لا يؤخذ حسب رأيهم إلا من أفواه "العلماء"، وترك السياسة للسلطة، وعدم الانشغال بها عن طلب العلم.

2- الاتجاه الإخواني في الجزائر:

1-2 الاتجاه الإخواني وخلفيته التاريخية:

لا يختلف هذا الاتجاه عن سابقه من حيث الكمون والتراكم التاريخي، لكنه أكثر حداثة وتنظيما وفكرا من الاتجاه الأول (السلفي)، إذ ظهر على الساحة السياسية بالجزائر في الأربعينات في شكل فكر تستند إليه زعامات هذا التنظيم السياسي أو ذاك، فالتفرد عن التنظيم الأم ظهر سنة 1947 في شكل حزب سياسي يسمى حزب الوحدة الوطني تنظمه القوانين الفرنسية، بعد الاستقلال كان له حضور في بداية السبعينيات على شكل فعل مندمج مع فعل بقية التيارات الإسلامية الأخرى ذات الطابع الاحتجاجي المختلف معه، هذا التيار وظف وإلى أبعد الحدود المجهودات الفكرية والثقافية في المشرق العربي ومنها تحديدا مجهودات حسن البنا الجمعية في الرسائل التي كتبها وكذلك كتيبات مصطفى مشهور، فتحي يكن، سيد قطب وسعيد حوى، بحجة الانتماء لنفس الاتجاه من حيث المصدر المعرفي في المنهج وسلوب العمل.

هذا عن الفكر، أما عن التنظيم فكانت للنخبة المنتخبة من الجامعات الدينية في المغرب ومشرق العالم العربي دور في هذا المجال خصوصا بعد رجوع تلاميذ " الفضيل الورتيلاني " ممثل جمعية العلماء المسلمين بالقاهرة، حيث كانت تتم الاتصالات عن طريق قسم الارتباط الإسلامي الذي كان يجمع اللاجئين من كل الأقطار الإسلامية وكان من بينهم الورتيلاني الذي كان يشرف على الطلبة الجزائريين، ويقدم المساعدات المادية لهم، وهذا ماسهل تسرب العناصر الطلابية المتشعبة بالفكر الإخواني، وقد تجلّى ذلك في تأسيس أول تنظيم حزبي إخواني وفق الرؤى الإيديولوجية لجماعة الإخوان المسلمين وهذا ليس في الجزائر فقط ولكن في العالم العربي والإسلامي.

الحزب البديل كان أول المباركين له، رمز التيار السلفي الوهابي الشيخ الطيب العقبي والذي كتب عنه في جريدة الإصلاح بتاريخ 10 جوان 1947 (ص 128) قائلا : " كنا طلعنا في فاتحة هذا العام تنفا من الأحاديث في جريدة " المرأة " عن حزب جديد وجد في قطرنا هذا يعمل لتوحيد الأحزاب ويسعى لجمع الكلمة ورأيت أيضا في تلك الجريدة من الردود ما ينفي وجود هذا الحزب ويتجاهل حتى وجود رجاله، ومؤسسه العالم الشيخ (الحسين المداني)، بأن الحزب تون بالفعل وقدم إلى الحكومة برنامجا سياسيا وشرع في تأليف فروع له في كثير من نواحي البلاد، واتصل بنا بعض رجاله معربا عن مقصد الحزب ... العمل لجمع كلمة المسلمين والاعتصام بحبل الله المتين...فقلنا مرحى للدين وكل عامل باسم الدين من رجال كل جمعية وكل حزب. "

كما يقر مؤسسه الآخر الشيخ السليمانى بمخالفة الفكر التأسيسي والنهج التنظيمي لجماعة الإخوان الذي يقول القائمون على الحزب الجديد أنهم يهتمون إليها، وهذا راجع لطبيعة الترتيب السوسولوجية لنخبة تأسيس الحزب الجديد.

النخبة المؤسسة للحزب:

- 1 / الأستاذ الحاج الحسين السليمانى بالمدينة خريج كلية أصول الدين بالقاهرة.
 - 2 / الأستاذ عمار عيمش، صحفي وكاتب قدير باللغة الفرنسية بالجزائر.
 - 3 / الأستاذ إبراهيم امهدن، ملاك وفلاح بالعفرون خريج الجامعة الزيتونية.
 - 4 / أحمد الشيخ الحسين الخلفي الأستاذ بنادي الرشاد بعاصمة الجزائر خريج الجامعة الزيتونية.
- وبالرغم من أن أمر هذا الحزب في نشر الفكر الإخواني بالجزائر يدخل ضمن المجهول، رغم المعلوم والمتعلق بدور الفضيل الورتيلاني في توزيع هذا الفكر، لأنه معلوم يقابله مجهول بالناحية التنظيمية ذات الطابع الحزبي للاتجاه الإخواني والذي عرفته الجزائر كما أسلفنا منذ سنة 1947 وبصيغة مغايرة عن تلك التي عرفتها مصر بل ويخالف أساسا الفكر التأسيسي والنهج التنظيمي لجماعة الإخوان الذي يقول القائمون على الحزب الجديد أنهم يهتمون إليها صراحة .

أما البداية الفعلية أو الامتداد الحركي للإخوان المسلمين فقد كان في سنة 1953 حيث تكون الفرع الجزائري للإخوان المسلمين، وفي هذا يقول الشيخ العقبي فيه: " ... في البداية كانت تجري اجتماعاتنا في الجوامع والمقاهي حتى أننا كنا ننظم رحلات إلى غاية الريف، لكن مع انتساب الشيخ سحنون مسير الجامع، صار هذا الأخير مقرنا العام تنعقد فيه اجتماعات اللجنة القيادية للفرع والمكونة من الشيخ سحنون المجاور للجامع ... "، وجاء تكوين هذا الفرع نتيجة احتكاك بعض العلماء الجزائريين بأشقائهم المصريين مثل الفضيل الورتيلاني الذي كان يقيم في القاهرة لكن لم يستطع هذا الفرع إتمام نشاطاته لأن الثورة اندلعت ولم يعد هناك مجال للتجمع والقاء المحاضرات، وقد كان أبرز مؤسسي هذا الفرع (الشيخ سحنون، والشيخ عرباوي) الذين رغم أنهم من المنتمين إلى جمعية العلماء المسلمين إلا أن هذا لم يمنع من تبليغهم لفكر حسن البنا وجاعته وبالتالي من الأوائل الذين مهدوا لقيام هذا الفكر في الجزائر.

2-2 الإخوان المسلمون في الجزائر ومشروع الدولة الحديثة:

عرفت الجزائر مع أواسط السبعينات موجات ثقافية عديدة عبر أعداد من المتعاونين خاصة في ميدان التعليم والقاديين من سوريا ومصر والعراق وبولونيا وروسيا والفيتنام وغيرها والذي حملوا معهم ثقافتهم ولوانهم الأيديولوجية وانتماءاتهم السياسية مع عملية ديمقراطية التعليم "الآلاف كانوا يأتون ووجهتهم الجزائر من فرسا مصر سوريا، العراق بالإضافة إلى دول المعسكر الشرقي

الكثير من جماعات الإخوان المسلمين لهذا السبب وبالخصوص القادمون من مصر نظرا للعلاقات الجيدة بين الجزائر ونظام جمال عبد الناصر والذي كان على محورين، محور يمثل النظام المصري والآخر يمثل جماعة الإخوان المسلمين"، فانتشرت كثير من الأفكار البعثية واليسارية والإصلاحية عن طريق هؤلاء القادمين ومن خلال الاحتكاك بالشباب والطلبة في المدارس والمتوسطات والثانويات والمعاهد. فالحركة الإسلامية كانت من بين البدائل المطروحة بقوة بفعل هذا الاحتكاك والأفكار التي تحملها التيارات الإسلامية التي يزدهر بها المجال السياسي والثقافي للوافدين بمختلف مدارسهم الحزبية وعلى رأسهم الإخوان المسلمين سواء المدرسة المصرية، عن طريق الإخوان المصريين أو المدرسة السورية عن طريق الإخوان السوريين، الذين ذهبوا بأعداد كبيرة إلى الجزائر عام 1973 ليساهموا في خطة تعريب التعليم العالي، وفنذروا منها إلى المناهج التعليمية وإلى الإعلام، وإلى الالتقاء بمجموع الناس في المساجد والمناسبات الدينية، حيث كانوا نشطين في أواسط السبعينات.

وإذا كان من الصعب تحديد تاريخ رسمي للبداية الفعلية لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين في الجزائر غير أن حدثا سياسيا بارزا وهو مناقشة ميثاق 1976 أظهر للسطح تنظيم يسمى "الموحدون" في هذه الفترة تحررت هذه الحركة ببيان كان يأمضاه جماعة "الموحدون" ويحمل عنوان: إلى أين يا بومدين؟ وكان هذا في سنة 1976م.

يقول الأستاذ محمد بوسليمان: "في سنة 1975 ظهر ما نسميه في الجزائر بقانون الثورة الزراعية، وهذا بدأ سنة 1971 وقانون الأسرة فحزنت الجماعة لتظهر للمجتمع الجزائري الأخطاء وتظهر للمجتمع الجزائري بأن هناك مؤامرة على الأسرة ليست بالطريقة المباشرة وإنما بالطريقة القانونية".

هذا التحدي ربا يعتبر أول معارضة حقيقية في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في الجزائر ما بعد الاستقلال، لتوجهات النظام السياسي القائم ويعتبر رفض حقيقي وعلمي للميثاق الوطني في 1976 "الحركة الإسلامية وجهت خطبا تنتقد فيه التوجه الاشتراكي للاقتصاد... هؤلاء الزعماء مع آخرين بدأوا يطرحون الانتقاد للميثاق الوطني، وهؤلاء الشيوخ محفوظ نحاح ومحمد بوسليمان... يأخذون الوضع الانتقالي من أجل الكليات الخاصة".

تشكيكة "الموحدون" لم تستمر إذ سرعان ما اعتقال أبرز عناصرها وعلى رأسهم محفوظ نحاح الذي حكم عليه بخمسة عشر سنة سجنا، بعدما لجأ إلى أسلوب استعمال القوة يقطع أعمدة التلغون في منطقة البلدية تعبيرا عن احتجاج هذا التنظيم على إقرار الميثاق الوطني وكذلك اعتقال محمد بوسليمان، وكانت التهم تتراوح بين الإخلال بالأمن العام ومحاولة التدمير للانقلاب وتكوين جماعة محظورة.

محفوظ نحاح كان على صلة ببعض الأساتذة المدرسين من جماعة الإخوان المسلمين في البلدية وفأما بتزنيته لدى القيادة المركزية لجماعة الإخوان التي بايعها أثناء أداء العمرة من نفس السنة التي اعتقل فيها أي 1976، إذ التقى مع بعض قيادات جماعة الإخوان المسلمين أارج من السجون، هذا اللقاء رسخ قناعاته بالشكل العام لطرحهم النظري وسلوب عملهم المنهجي القائم على التدج، فبايعهم وفق ماتنص عليه أصول الجماعة، على أن يكون على نهجهم سائر والرافب العام لهم في الجزائر هذه المبايعات أعادت إحياء الفعل السياسي الحركي وفق رؤى الإخوان دون وعي بطرفه وبدائياته التاريخية في هذا الوطن.

لكن الثابت أن تنظيم الإخوان المسلمين في الجزائر لم يتحرك بصفة فعلية إلا بعد إطلاق سراح محفوظ نحاح ومحمد بوسليمان في بداية الثمانينات بعفو شامل من الرئيس الشاذلي بن جديد.

وبذلك لكن القول أن التشكيل الفعلي لجماعة الإخوان المسلمين في الجزائر تأخر إلى مطلع الثمانينات، ولقد بعض المصادر، الانطلاقة الرسمية لعمل محفوظ نحاح ومحمد بوسليمان تمت مظلة جماعة الإخوان المسلمين جناح التنظيم الدولي بالتحديد بعد عودة الشيخ بوسليمان من تونس والتي شارك فيها في أشغال مؤتمر حركة الاتجاه الإسلامي مطلع الثمانينات بقيادة راشد الغنوشي، وقد انتهز هذا الأخير فرصة وجود ضيوف جزائريين حضور أشغال المؤتمر ففرض عليهم الارتباط الرسمي بتنظيم الإخوان الدولي، فلقى الاستجابة من بعض الحاضرين ومن بينهم محمد بوسليمان، فالإخوان في هذه الفترة استغلوا ما نسميه فترة الهدوء مع النظام السياسي خصوصا بعد أحداث الأمعة المركزية سنة 1982.

ليقوموا بالدعوة لفكرهم خصوصا أن قطاعا كبيرا من التعليم والعلم كانوا متشبعين بهذا الفكر بالإضافة إلى استهدافهم لشراخ كبيرة من المجتمع في محاولة لاستقطاب أكبر عدد من الأتباع مع التركيز خصوصا على الفئات المتعلمة، وهكذا فالدراسة الإخوانية استطاعت أن ترفع المستوى العلمي والفكر الحركي وذلك عن طريق الكتب والمجلات، فامتلات المكتبة الجزائرية، بكتب من قبيل جاهلية القرن العشرين لسيد قطب، الملول المستوردة، وعذاب القبر وغيرها من الكتب التي لهد للفكر الإخواني بالجزائر، فأصبحت كتب الشيخ محمد الغزالي ويوسف القرضاوي و أبو الأعلى المودودي، تطبع بسخاء في الجزائر.

ولعب المطاب المسجدي دورا هاما، فكان زعماء الحركة الإسلامية يررون مشاريعهم من خلال خطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد، وأخذت حلقات المساجد تروج لنوع من الحرية في ظل محاولة الحركات الإسلامية السيطرة على المساجد سواء بالنسبة للسلفية أو الإخوان مع محاولة الإسلام الرسمي توجيهه وتسيير تلك المساجد بنوع من الإذر في تعامله مع هذه الجماعات.

2-3 الإخوان المسلمون والتوجه السياسي:

انفجرت أحداث أكتوبر 1988 التي جاءت بدستور 23 فيفري 1989 والذي من خلاله دخلت البلاد عهد التعددية السياسية، وقبلها كانت جماعة الإخوان المسلمون في الجزائر قد بادرت بتشكيل جمعية خيرية سمتها "جمعية الإرشاد والإصلاح" وقد لعبت دورا بارزا في توجيه الأحداث والتكفل بالإناب الاجتماعي، مع العلم أن إطارات وجماعة الإخوان المسلمون كان لهم باع طويل في مايسمى بالبادرة الاجتماعية ولعل الجماعة تعتبر أكثر الحركات فعالية وتأثيرا في الظاهرة الإسلامية خلال الثاينيات واستقطاب شراخ كبيرة من المجتمع لأنه كان لئل الإسلام الحركي الذي يخاطب الواقع في الجزائر، خلال هذه الأحداث برز أسم محفوظ نحناح حينما "وجه خطابا رفقة زعماء التيار الإسلامي بتحميله أحمرة الدولة مسؤولية الأوضاع التي آلت إليها الأوضاع ومن ضرورة الوصول إلى حل للأزمة الراهنة من خلال الدعوة إلى المشاركة في حوار وطني".

2-4 - 06 ديسمبر 1990 أو نقطة التحول في مسار الحركة:

أعلنت جماعة الشيخ محفوظ نحناح عن تأسيس حزب سياسي جديد يعبر عن وجهة نظر جمعية الإرشاد والإصلاح وتتبع سياسات محايدة تجاه لدولة، يقول نحناح بإمكانية وجود الأحزاب العديدة ضمن الحركة الإسلامية ودعا إلى الوار مع الأحزاب غير الأصولية على أية حال ، أما الاختلاف الفكري الرئيسي فهو أن نحناح أصر على وجوب إعداد المجتمع أدبيا وروحيا قبل أن يتحرك أي حزب إسلامي للسيطرة على الشؤون السياسية من منظور إسلامي.

ولذلك نرى أن القاعدة الداعمة للجماعة والحزب فيها بعد هي الفئات المتعلمة والكوادر العليا والمتوسطة في الإدارة الرسمية ومن بينها رجال أعمال القطاع الخاص، ولكن اعتبار حركة حماس والمثل السياسي لركة الإخوان المسلمون في الجزائر هي حركة النخبة مقارنة بالتشكيلات السياسية الإسلامية التي ظهرت في الجزائر، وقد اتضحت معالم النخبوية السياسية للحركة بشكل عام، بعد مشاركتها في ندوة الوفاق الوطني كأول مرة مشاركة سياسية للحركة في أحمرة السلطة والحكم، وصارت حديث وسائل الإعلام كون التيار الإسلامي قد أثبت جدارته في التسيير والتحكم وقدرته على التعايش مع التيارات السوية على العلمانية.

وأوفر على الجزائر مجدا كبيرا ووفنا ثمينا وفلص مدة الراحل الانتقالية، ومهد لميلاد ديمقراطية تشارنية في حدها الأدنى، ففي منتصف عهده، استقال الرئيس المجين زروال وتسارعت الأحداث لتنتهي بتنظيم انتخابات رئاسية مسبقة.

بقرار إداري مستند إلى فوانا الجمهورية سنة 1996 أجبرت حركة مجتمع السلم على التنازل عن اسمها القديم (حركة المجتمع الإسلامي) إلى (حركة مجتمع السلم) بحجة عدم استخدام الثوابت الوطنية أو الدينية لأغراض سياسية، ومع ذلك منعت الإدارة محفوظ نحناح من المشاركة في الرئاسيات نظرا لعدم استيفاءه لشروط الترشح ب سنوات 1997-1999، وبالرغم من ذلك كانت لركة أول الساندين والتحالف مع الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لدعم ترشيحه في السباق الرئاسي لسنة 1999، وهذا مايؤكد على أن الإخوان المسلمون في الجزائر قد استفادوا من إارب الحركة الإسلامية في الجزائر وخاصة الإخوان، وكذلك من إارب الحركة الأم بمصر في التعامل مع النظام السياسي في الجزائر.

بعد وفاة مؤسس حركة مجتمع السلم محفوظ نحناح يوم 19 جوان 2003م، انتخب **أبو جرة سلطاني** خلفا للشيخ **محفوظ نحناح**، ولاحظ على الحركة أنها شاركت في كل الاستحقاقات السياسية منذ تأسيسها كما أنها زنت من خلال مشاركتها كل مسارات السلطة وقبّلت بتولي مناصب وزارية وحكومية، لا يحسب عليها أنه تنهّج الوسطية والاعتدال مقارنة مع التيارات الإسلامية المتشددة ولولا تبقى تجربتها من التجارب السياسية الناجحة واليسوبة على تيار الإخوان المسلم في العالم العربي والإسلامي.

الهوامش

-Abderrahim Lamchichi :Fondamentalisme integristes, une menace pour les droits de l'homme, Bayard s-centurion, normandie, France 1997, p44.

2 - محمد فتحي عثمان: مرجع سابق، ص 120.

3- أرسيت غيلنر: الأساس الاجتماعي للسلفية الجزائرية، (تر: أبو بكر باقادر)، مجلة الاجتهاد، بيروت، العدد 47، 48، 2000، ص 199.

4- المرجع نفسه: ص 197.

5- Abdelhamid boumezbar, Azine Djamila : l'ISLAMISME ALGERIEN de la genèse au terrorisme, edchihab, Batna , Algérie , 2002.

6- داعية مصري كان يتردد على الجزائر داعيا إلى المنهج السلفي.

7-Aissa KHELLADI, Les Islamistes Algériens Face au pouvoir, Alger, Edition ALFA, 1992, P 51

8- عبد الملك رمضاني: مدارك النظر في السياسة، بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، دار سبيل المؤمن، ط2، 1418 هـ، الرياض، بدون تاريخ ميلادي، ص 44.

9- المرجع نفسه: ص 99.

10- هذا القول اشتهر به الداعية المصري محمد عبده.

1- للمزيد أنظر: عبد الملك رمضاني، مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، مرجع سابق.

12- Abdelhamid boumezbar, Azine Djamila : op cit, P 74.

13- عبد الملك رمضاني: مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، مرجع سابق، ص 80.

14- المرجع نفسه: ص 81.

15- المرجع نفسه: ص 108.

16- عبد الملك بن أحمد رمضاني: ست درر من أصول أهل الأثر، مكتبة العمرين العلمية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1999، ص 131.

17- للمزيد أنظر: التيارات الإسلامية واتجاهاتها في الجزائر، أطروحة دكتوراه مقدمة من طرف عروس الزبير، جامعة الجزائر، 2006 .

18- أنظر كتاب: النخب الاجتماعية - حالة الجزائر ومصر، د. عروس الزبير وحمد زايد، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004

19- نقلا عن: عروس الزبير، التيارات الإسلامية واتجاهاتها في الجزائر، مرجع سابق، جريدة الإصلاح، 25 جوان 1947، العدد 53.

20- إلياس بونراغ: الجزائر: الرعب المقدس، تر خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت، 2003، ص 225.

2- محمد بوسليمان: وقفات مع الحركة الإسلامية في الجزائر، موقع الشهاب للإعلام، شهر نوفمبر، 2003 .

22- Abdelhamid boumezbar, azine Djamila : OP.CIT, p 43.

23-Ahmed Rouadjia : les frères et la Mosquée, Edition Bouchène, Alger, 1990, PP. 170-178.

24- Abdelhamid boumezbar, azine Djamila: Ibid, P 79.

24- محمد بوضياف: الأحزاب السياسية في الجزائر ومنظمات المجتمع المدني في الجزائر، دار المجند للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2010، ص 71.

25- المرجع نفسه: ص 62.

26- المرجع نفسه: ص 71.

27- المرجع نفسه: ص 76.

28- المرجع نفسه: ص 62.



ISSN 2170-0796